يقول الله تبارك وتعالى: ((**وَالْعَدِيَتِ ضَـبْحاً . فَـالمُورِيَتِ قَـدْحاً . فَالْمُغِيرَتِ صُبْحاً . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً . فَوَسَـطْنَ بِـهِ جَمْعـاً ...**)) الخ السورة. ولا يخفـى علـى الجميـع أن هـذا قسـم، والعاديـات صـفة لموصوف محذوف فما هـو هـذا الموصـوف؟ هـل المـراد الخيـل يعنـي والخيل العاديات ؟ أو المراد الإبـل يعنـي والإبـل العاديـات ؟ فـي هـذا قولان للمفسرين: فمنهم من قال: إن الموصوف هـي الإبـل، والتقـدير والإبل العاديات ويعني بها الإبل التي تعدوا من عرفة إلـى مزدلفـة، ثـم إلى منى، وذلك في مناسـك الحـج، واسـتدلوا لهـذا بـأن هـذه السـورة مكية، وأنه ليس في مكة جهاد على الخيل حتى يقسم بهـا. أمـا القـول الثـاني لجمهـور المفسـرين وهـو الصـحيح فـإن المحـذوف هـو الخيـل والتقدير والخيل العاديات والخيل العاديات معلومـة للعـرب حـتى قبـل مشروعية الجهاد، هناك خيل تعدو على أعدائها سواء بحق أو بغير حـق فيما قبل الإسلام، أما بعد الإسـلام فالخيـل تعـدوا علـى أعـدائها بحـق. يقول الله تعالى: ((**والعاديات**)): والعادي اسم فاعل من العدو وهـو سرعة المشي والانطلاق، وقوله: ((**ضبحاً**)): الضـبح مـا يسـمع مـن أجواف الخيل حين تعدوا بسرعة، يكون لها صوت يخرج مـن صـدورها، وهـذا يـدل علـى قـوة سـعيها وشـدته. ((**فالموريـات قـدحاً**)): الموريات من أورى أو ورى بمعنى قدح، ويعني بذلك قـدح النـار حينمـا يضرب الأحجار بعضها بعضاً، كما هـو مشـهور عنـدنا فـي حجـر المـرو، فإنك إذا ضربت بعضه ببعض انقـدح، هـذه الإبـل لقـوة سـعيها وشـدته، وضربها الأرض، إذا ضربت الحجر ضرب الحجر الثـاني، يضـرب الحجـر الثاني ثـم يقـدح نـاراً، وذلـك لقوتهـا وقـوة سـعيها وضـربها الأرض. ((**فالمغيرات صبحاً**)): أي التي تغير صباحاً على العـدو، وهـذا أحسـن وقت يغار فيه علـى العـدو، ((**فالمغيرات صـبحاً**)): أي الـتي تغيـر على عدوها في الصباح، وهذا أحسن مـا يكـون إغـارة علـى العـدو، أن يكون في الصباح لأنه في غفلة ونـوم، وحـتى لـو اسـتيقظ مـن الغـارة فسوف يكون على كسل وعلى إعيـاء، فاختـار اللـه عـز وجـل للقسـم بهذه الخيول أحسن وقت للإغارة وهو الصباح، وكـان النـبي صـلى اللـه عليه وسلّم لا يغير على قوم في الليل بل ينتظـر فـإذا أصـبح إن سـمع أذان كف وإلا أغار. ((**فأثرن به نقعاً**)): أي أثرن بهذا العدو، وهـذه الإغارة ((**نقعاً**)) وهو الغبار الذي يثور من شدة السعي، فـإن الخيـل إذا سعت إذا اشتد عدوها في الأرض، وصار لها غبـار مـن الكـر والفـر.

((**فوسطن به**)): أي توسطن بهـذا الغبـار ((**جمعاً**)): أي جموعـاً من الأعداء أي أنها ليس لها غايـة، ولا تنتهـي غايتهـا إلا وسـط الأعـداء، وهذا غاية ما يكون من منافع الخيل، مع أن الخيل كلها خيـر، كمـا قـال النبي صلى الله عليه وسلّم: (**الخيل معقود في نواصـيها الخيـر إلى يوم القيامة**). أقسم الله تعالى بهـذه العاديـات ـ بهـذه الخيـل التي بلغت الغاية ـ وهو الإغـارة علـى العـدو وتوسـط العـدو، مـن غيـر خوف ولا تعب ولا ملل. أما المقسم عليه فهـو الإنسـان فقـال: ((**إن الإنسان لربه لكنود**)) والمراد بالإنسـان هنـا الجنـس، أي أن جنـس الإنسان، إذا لم يوفق للهداية فإنه كفور لنعمة الله عز وجـل كمـا قـال الله تبارك وتعالى: ((**وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً**)). وقيل: المراد بالإنسان هو الكافر، فعلى هذا يكون عامًّا أريد به الخاص، والأظهر أن المراد به العموم، وأن جنس الإنسان لولا هداية الله لكـان كنوداً لربه عز وجل، والكنود هو الكفور، أي كافر لنعمة الله عـز وجـل، يرزقه الله عز وجل فيزداد بهذا الرزق عتواً ونفوراً، فإن من الناس من يطغى إذا رآه قد استغنى عن الله، وما أكثر ما أفسـد الغنـى مـن بنـي آدم فهو كفور بنعمة الله عز وجل، يجحد نعمة الله، ولا يقوم بشـكرها، ولا يقـوم بطاعـة اللـه لأنـه كنـود لنعمـة اللـه. ((**وإنـه علـى ذلـك لشهيد**)) ((**إنه** ((الضمير قيل: يعـود علـى اللـه، أي أن اللـه تعـالى يشهد على العبد بأنه كفور لنعمة الله. وقيـل: إنـه عائـد علـى الإنسـان نفسه، أي أن الإنسان يشـهد علـى نفسـه بكفـر نعمـة اللـه عـز وجـل. والصواب أن الآية شاملة لهذا وهذا، فالله شهيد على ما في قلـب ابـن آدم، وشهيد على عمله، والإنسان أيضاً شهيد على نفسه، لكن قـد يقـر بهذه الشهادة في الدنيا، وقد لا يقر بها فيشهد على نفسه يوم القيامـة كمـا قـال تعـالى: ((**يـوم تشـهد عليهـم ألسـنتهم وأيـديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**)). ((**وإنـه**)) أي الإنسـان ((**لحـب الخير لشديد**)) الخير هو المال كما قال الله تعالى ((كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصـية)). أي: إن تـرك مـالاً كـثيراً. فالخير هو المال، والإنسان حبه للمال أمر ظـاهر، قـال اللـه تعـالى: ((**وتحبون المال حبًّا جًّمـا**)). ولا تكـاد تجـد أحـداً يسـلم مـن الحـب الشديد للمال، أما الحب مطلق الحـب فهـذا ثـابت لكـل أحـد، مـا مـن إنسان إلا ويحب المال، لكن الشدة ليست لكل أحد، بعض الناس يحب المال الذي تقوم به الكفاية، ويستغني به عن عباد الله، وبعـض النـاس

يريد أكثر، وبعض الناس يريد أوسع وأوسع. فالمهم أن كل إنسان فـإنه محب للخير أي المال، لكن هذه الشـدة تختلـف، ويختلـف فيهـا النـاس من شخص لآخر، ثـم إن اللـه تعـالى ذكَّـر الإنسـان حـالاً لابـد لـه منهـا فقال: ((**أفلا يعلم إذا بعثر ما فـي القبـور**)) فيعمـل لـذلك، ولا يكـن همـه المـال.((**أفلا يعلـم**)) أي يـتيقن. ((**إذا بعـثر مـا فـي القبور**)) أي: نشر وأظهـر فـإن النـاس يخرجـون مـن قبـورهم لـرب العالمين، كـأنهم جـراد منتشـر، يخرجـون جميعـاً بصـيحة واحـدة ((**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميـع لـدينا محضـرون**)). ((**وحصل ما في الصدور**)): أي ما في القلوب مـن النيـات، وأعمـال القلب كالتوكل، والرغبة، والرهبة، والخوف، والرجـاء ومـا أشـبه ذلـك. وهنا جعل الله عز وجل العمدة ما في الصدور كما قال تعالى: ((**يـوم تبلى السرائر. فما لـه مـن قـوة ولا ناصـر**)). لأنـه فـي الـدنيا يعامل الناس معاملة الظاهر، حتى المنافق يعامل كما يعامل المسـلم، كما يعامل المسلم حقًّا، لكن في الآخرة العمـل علـى مـا فـي القلـب، ولهذا يجب علينا أن نعتنـي بقلوبنـا قبـل كـل شـيء قبـل الأعمـال؛ لأن القلب هـو الـذي عليـه المـدار، وهـو الـذي سـيكون الجـزاء عليـه يـوم القيامة، ولهذا قال: ((**وحصل ما في الصـدور**)) ومناسـبة الآيـتين بعضهما لبعض أن بعـثرة مـا فـي القبـور إخـراج للأجسـاد مـن بـواطن الأرض، وتحصيل ما فـي الصـدور إخـراج لمـا فـي الصـدور، ممـا تكنـه الصدور، فالبعثرة بعثرة ما في القبور عما تكنه الأرض، وهنا عمـا يكنـه الصدر، والتناسب بينهما ظاهر. ((**إن ربهم بهـم يومئـذ لخـبير**)) أي إن الله عز وجل بهم: أي: بالعباد لخبير، وقال ((**بهم**)) ولم يقل (**به**) مع أن الإنسان مفرد، باعتبار المعنى، أي: أنه أعـاد الضـمير علـى الإنسـان باعتبـار المعنـى، لأن معنـى ((**إن الإنسـان**)) أي: أن كـل إنسان، وعلق العلم بذلك اليوم **((إن ربهم بهم يومئذ**)) لأنـه يـوم الجزاء، والحساب، وإلا فإن الله تعالى عليم خبير في ذلك اليوم وفيمـا قبله، فهو جل وعلا عالم بما كان، وما يكون لو كان كيف يكون.هذا هـو التفسير اليسير لهذه السورة العظيمة، ومن أراد البسـط فعليـه بكتـب التفاسير التي تبسط القول في هـذا، و إنمـا نحـن نشـير إلـى المعـاني إشارة موجزة، وقد بينا أول ما بدأنا في هذا الجزء المبارك بأننا اخترنـا هذا لأنه كـثيراً مـا يسـمعه النـاس فـي الصـلاة الجهريـة، فـي المغـرب

والعشاء والفجر، نسـأل اللـه لنـا ولكـم الهدايـة والتوفيـق، وأن يجعلنـا ممن يتلون كتاب الله حق تلاوته، إنه على كل شيء قدير.